قصة واقعية :

# أعرابيّ في حمّام ...

للأستاذ علي الطنطاوي

صحبنا في رحلتنا البرية إلى الحجاز ، دليل شيخ من أعراب نجد ، يقال له « صُلَيْبيّ » ما رأيت أعرابياً مثله ، قوة جنان ، وفصاحة لسان ؛ ولولا مكان النبرة البدوية من لسانه ، لقلت قد انصرف الساعة من سوق عكاظ لبيان لهجته ، وقوّة عارضته ، وكثرة ما يدور على لسانه من الفصيح ... وكان أبيّ النفس ، أشم المعطس ، عالي الهمة ، كريم الطباع ، لكن فيه جفوة الأعرابي ...

رافقنا أياماً وليالي ، فما شئنا خلة من خلال الخير إلا وجدناها فيه : كان يواسينا إذا أسينا ، ويؤثرنا إذا أضقنا ، ويحمينا إذا هوجمنا ، ويحرسنا إذا نمنا ، ويقنع إذا قسمنا ، ويشكر إذا أعطينا ، ويصبر إذا منعنا ، ويعذر إذا اعتذرنا ، ويعفو اذا أسأنا ، ويلين إذا اشتددنا ، ولا يشتدّ إذا لنّا ... على خفة روح ، وسرعة جواب ، ونكتة حاضرة ، وشجاعة نادرة ... قلنا له مرة :

ـ إن « صُلبة » في عرب اليوم ، « كباهلة » في عرب الأمس ، قبيلة لئيمة خسيسة ، يأنف الكرام من الانتساب اليها ، وأنت فيما علمنا سيد كريم ، من سادة كرام ، وليس لك في هذه القبيلة نسب ، فما بالك تدعى « صُلبيّ » ولا تغضب ؟

ـ فقال : صدقتم والله ، ما أنا من « صُلبة » ولا « صُلبة » مني ، وإني لكريم العمّ والخال ، ولكن لهذا الاسم قصة أنا قاصّها عليكم

ـ قلنا له : هات

ـ قال : كان أبواي مُشْكِلَين لا يعيش لهما ولد ، فلما رزقا بي تاسع تسعة ماتوا جميعاً ، وأعجزتهما الحيلة ، احتسبا عند الله مصيبتهما بذل الاسم ، وسمياني صُلَيْبيّ

ـ قلنا : أفمن سمّاك صُلَيبي عشت ؟

ـ قال : نعم ! إن عزرائيل أكرم من أن يقبض روح صُلبي ؟ وأرفع من أن يمسه بيد ...

ـ وسألناه مرّة : هل أنت متزوج يا صُلبي ؟

ـ قال : لقد كنت متزوجاً بشرّ امرأة تزوجها رجل ، ما زلت أحسن اليها وتسيء إليّ حتى ضقت باحتمالها ذرعاً فطلقتها ثلاثاً وثلاثين

ـ قلنا : إنها تبين منك بثلاث ، فلم الثلاثون ؟

ـ قال : صدقة مني على الأزواج المساكين الذين لا يجدون ما يطلقون ...

وطال بنا الطريق إلى تبوك ، وكاد ينفد ما كان معنا من ماء وخشي القوم الموت ، فأقبلوا كلهم على صُلبي ، يتذمرون من بُعد تبوك وطول الطريق ، فتركهم حتى إذا نفض كلّ جعبته قال لهم ضاحكاً :

معكم الحق ، إنها بعيدة ، ولكني أقسم لكم بالله إني لم أضعها أنا هناك ... وليس لي في بعدها يدان

ولم يكن صُلبيّ يعرف المدن الكبيرة ، ولم يفارق الصحراء قط إلا إلى حاضرته تبوك ( وتبوك قرية فيها ستون بيتاً ... فلما بلغنا ـ قافلين ـ مشارف الشام ، أغريناه بدخول المدينة وجعلنا نصف له الشام : رياضها وأنهارها ، وعظمها وعمرانها ، فيأبى ؛ وكنت صفيّه من القوم وخليله ونجيّه ، فجعلت أحاوله وأداوره وبذلت في ذلك الجهد ، فلم أصنع معه شيئاً ، لما استغرق نفسه من كراهية المدن وسوء الظن بأهلها ... فتركناه مرغمين ، وودعناه آسفين !

* * *

وعدت إلى دمشق ، فانغمست في لجة الحياة ، وغصت فيها إلى أذنيّ ، ونسيت صُلبيّ وصحبته ، وكدت أنسى الصحراء وأيامها ؛ ومرّت على ذلك شهور ... وكان أمس ، لمحت في « باب الجابية » وسط الزّحم الهائل وجهاً أعرفه ، فذهبت أنظر اليه ، فاذا هو وجه صُلبي بعينه وأنفه ... فأقبلت عليه مسروراً :

ـ صُلبي ... هذا أنت ؟

ـ قال : لا صُلبي ولا صُلبي ...

ـ قلت : لم ويحك ؟

ـ قال أنا في طلبك منذ ثلاث ، ثم لا تأتي إليّ

ـ فقلت له ضاحكا : وأيّ ثلاث ، وأي أربع ، وأي

ى ؟ أتحسبها تبوك فيها ثلثمائة انسان ؟ إنها دمشق ياصاحبي
ا ثلثمائة ألف نسمة ، فأين تجدني بين ثلثمائة ألف ؟ . . .

قال : صدقت والله !

وأخذت بيده فاستخرجته من هذه الزحمة ، وملت به إلى ىٍّ ( مقهى ) قريب ، فجلسنا فيه ودعوت له بالقهوة العربية شامي فسر وانطلق يحدثني ، فقال :

" لما فارقتكم ورجعت أسير في هذه البادية وحيداً ، شعرت وحشة وحننت إلى هذه الأيام التي قضيتها معكم ، فاستعبرت ملت ألوم نفسي وأقول : يا نفس ما كان ضرك لو أجبت وم ووردت الشام فرأيت مالم ترى ؟ ... وانصرفت إلى أهلي ، ثت فيهم شهراً ، ثم دعاني الأمير فارتحلت اليه ، فاذا عنده هط من أهل الحضر يريدون دليلا ، فسرت معهم أدلهم حتى ت بهم مشارف الشام ، فدعوني وألحوا عليّ فاستجبت لهم خلوا بي دمشق ...

فلما بلغنا « الميدان » وصرنا بين البيوت ، رأيت سيارة كسياراتكم تلك ، لكنها أكبر وأضخم ، ولها نوافذ وفيها رف ، وقد خطوا لها خطين من حديد فهي تمشي عليهما ، فقال احبي : هذا هو الترام ، فتعال نركب فيه

قلت : لا والله ما أحب أن أركبه

فزينوه لي وحببوه إليّ ، حتى استحييت منهم لطول ما يسألونني أبي ، فدخلت ويدي على خنجري إن رأيت من أحد ما أكره وجأته به ، وعيني إلى النافذة إن رابني أمر قفزت الى الطريق ، وجلست حذراً ، فما راعني إلا رجل بثياب عجيبة ، قد شق إزاره شقاً منكراً ، ثم خاطه حول فخذيه ، وارتدى برداء ضيق ، قد عمد اليه فصفف في صدره مرايا صغيرة من النحاس ما رأيت أعجب منها ، فبدا كأنه قرد ... ولم أدر ما هو ، ثم رجع إليّ ما عزب من عقلي ، فقلت رومي مجنون من هؤلاء الروم الذين يحكمون الشام ، وخفت إن أنا لنت له أن يسطو عليّ ، فسللت خنجري لأغمده في صدره إذا هو انتهى اليّ ، فقام إليّ صاحبي يقول :

— مالك ياصاحبي ، ماذا عراك ؟

— قلت : ألا ترى الرومي المجنون ؟

— قال : أيّ روميّ ياصاحبي ؟ وأيّ مجنون ؟

— قلت : هذا ؟ أما تراه ؟

— قال : هذا جابي الترام

— قلت : جبّـك الله ! !

وسكت فقد أقبل هذا القرد على صاحبي ، فمد اليه يداً كأنها حجر الرحى ، فوضع فيها من جُبنه قرشين ، فأعطاه بهما فتاتة ورق فما رأيت و لله صفقة أخسر منها ، وعجبت من صاحبي إذ يشتري بقرشين اثنين ورقة ما تصلح لشيء ، ولكني جلست صامتاً ، وما هي إلا هنيهة أخرى حتى أقبل علينا رجل كالأول ، رومي خبيث ، إلا أنه أجمل ثياباً وأحسن بزة ، فأخذ هذه الأوراق فمزقها ... فثارت ثائرتي وقلت : هذا والله الذل ، فقبح الله عربياً يقيم على الضيم ، ويرضى أن يسام الخسف ... وقمت اليه فلَبَّبْتُه وقلت له : يا ابن الصانعة ... أتعمد الى شيء اشتريناه بأموالنا ، ودفعنا فيه قروشنا فتمزقه ، والله لأمزقنّ جلدة وجهك ....

وحسبت صاحبي سيدركه من الغضب لكرامته ، والدفاع عن حقه مثل ما أدركني ، فاذا هو يضحك ، وإذا الناس يضحكون لما يرون مني ، لأن عمل هذا الرجل - فيما زعموا - تمزيق أوراق الناس التي اشتروها بأموالهم !

ولما نزلنا من هذه الآفة ، قال لي صاحبي :

— هلم الى الحمام ؟

— قلت : مالي وللحمام ؟

— قال : تغتسل وتلقي عنك أدران السفر

— قلت : إن كان هذا هو الحمام ، فمالي بالحمام من حاجة ، حسبي هذا النهر أغطس فيه فأغتسل

— قال : هيهات ... إن الحمام لا يعدله شيء ، أو ما سمعت أن الحمام نعيم الدنيا ؟

— قلت لا والله . ما سمعت :

— قال : إذن تسمع وترى . وأخذني فأدخلني داراً قوراء في وسطها بركة يتدفق منها الماء فيذهب صعداً كأنه عمود من البلور ، ثم ينثني ويتكسر ويهبط وله بريق ولمعان : صنعة ما حسبت أن يكون مثلها إلا في الجنان . وعلى أطراف الدار دكك كثيرة مفروشة بالزرابي والأرائك والمتكآت كأنما هي خباء الأمير . فلم نكد نتوسطها حتى وثب الينا أهلوها وثبة رجل

واحد يصيحون علينا صياحاً غريباً ، ويصرخون صراخ من به مسّ ، فأدركت أنها مكيدة مدبرة ، فانتضيت خنجري وصحت بهم : مكانكم ، فوالله لا يدنو مني رجل إلا قطعت رقبته . . . فأحجموا ، وعجبوا ورعبوا ، فقال صاحبي : إنه يمزح . ومال عليّ يعاتبني عتاباً شديداً ، فقلت : أفلا ترى صنيعهم بنا ، أفتحب أن ندعهم حتى يأخذونا ، قال إنهم يرحبون بنا ، ويسلمون علينا لا يريدون حرباً ولا قتالا

فصدقته وأغمدت الخنجر ، وظن القوم أنه المزاح ، فعادوا إلى حركتهم وضجّتهم ، يدورون حولنا بقباقيبهم العالية ، ويجيئون ويذهبون ، وأنا لا أدري ما هم صانعون ، حتى قادونا إلى دكة من هذه الدكك ، وجاءوا ينزعون عنا ثيابنا ، فتحققت أنها المكيدة وأنهم سيسلبونني خنجري حتى يهون عليهم ، فقد عجزوا أن ينالوني وبيدي الخنجر فأبيت وهممت بالخروج . فجعل صاحبي يكلمني ويحلف لي ، حتى أجبت واستسلمت ، وللموت أهون عليّ من أن أنزل عن سلاحي ، وأمنحهم سلبي حتى يسلبوني ، ولكنها المدينة دار الذل والمهانة ، وليست بالصحراء ، ولو أني لقيتهم في الصحراء لجعلتهم طعمة الوحش والطير ... حتى إذا تم أمر الله ولم يبق عليّ إلا الازار ، أرادوا نزعه عني ، فقلت : أما من مسلم في هذا البلد ؟ أما من عربيّ ؟ أتكشف العورات فلا يغير أحد ، ولا يغضب إنسان ؟

فهدأني صاحبي ، وقال : أفتغتسل وأنت متزر ؟

قلت : لعن الله نظافة الجسم إذا كانت لا تأتي إلا مع نجاسة النفس ، ويحك أتراني أضيع ديني وشرفي وأنكشف بعد هذه الشيبة ، وتذهب عني في العرب ، فتكون فضيحة الدنيا والآخرة ؟

قال : ومن أنبأك أنك ستنكشف ؟ هلا انتظرت ؟

ودعا غلاماً من أغلمة الحمام فقام دوني يسترني ، ستره الله ، حتى خلعت إزاري واتّزرت بازار أبيض أعطونيه ... وكان صاحبي قد تعرى كما تعرّيت فأخذ بيدي فأدخلني إلى باطن الحمام ، فاذا غرف وسطها غرف ، وساحات تفضي إلى ساحات ، ومداخل ومخارج ملتوية معوجّة يضلّ فيها الخرّيت ، وهي مظلمة كالقبر ، قد انعقدت فوقه قباب فيها قوارير من زجاج ، تضيء كأنها النجوم في الليلة الداجية ، وفي باطن الحمام أناس جالسون إلى أجران ضخمة من الصخر ، عرى لا يسترهم شيء ، فعلمت أنهم من الجن . وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، وجعـ ألتمس آية الكرسي فلا أجدها ، فأيقنت لما نسيتها أن منهم لا بدّ راكبني ، وجعلت أبكي على هذه الشيبة أن تـ سخرية صبيان المدن ... وإني لـكذلك وإذا بالخبيث يعود إليّ أن ينزع عني هذا الازار الذي كسانيه ... فقلت : ويل أمهاتـ ما ألأمكم ! أتأخذون ثيابي وسلاحي ، ثم تضنون على بثوب يستر الرحمة يا مسلمون ، الشفقة يا مؤمنون ! أأفتضح في الانس والجـ

ووثب الجن علي وأحدقوا بي وهم عرى ، تـقـفّ والله بدني ، وامتلأت فزعاً ؛ فقال صاحبي وهو يضحك : أعـ الأزار ، لقد أضحكت الناس علينا

قلت : ويحك ، وهل أبقى عريان ؟ قال : لا ، سنعطـ غيره . إن هذا جديد يفسده الماء

فاستخذيت وأطعت ، وما خوفي إلا من هؤلاء الجن أن يـ على أحدهم فيحرقني ، أو يدفعني دفعة فيلقيني وراء جبل قاف

ودخلت إلى مقصورة من هذه المقاصير ، فجلست إلى الـ حزيناً كئيباً لا أعلم ماذا يجري علي ، فبينما أنا على تلك ا — وإذا بجني عار كأنه قفص عظام ، له لحية كشوك السعدان وددت أنها عشاء لجملي . . . وقد تأبط ليفاً غليظاً — يا ما تأبط ! — وحمل ماعوناً كبيراً يفور فوراناً فتشهدت واستغفـ وعلمت أنه السم ، وأنه سيتناثر منه لحمي — وقصد الجنيّ إليّ فجعلت أفر منه ، وأتوثب من جانب الى جانب ، كأنني دجا تفر من سكين الجزار وهو يلحق بي ضاحكا ، ويعجب من ويظن أني ألاعبه وأداعبه ، وصاحبي يقسم لي أنه الصابو

— قلت : وما الصابون لا أمّ لك — أمصابون أنتم في عقولـ هذا هو السم ، لقد عرفته . . .

— قال : لا وأبيك إنه الصابون ، ولا ينظف شيء مثـ

— قلت : ألا شيء من سدر ؟ ألا قليل من أشنان ؟

— قال : والله ما أغشك بجرب ، ونطق الجنيّ فاذا والله كلام الناس ، وإذا هو آدمي من أمثالنا ، فاطمأ وجلست بين يديه ، وأقبل على يدلكني دلكا شديداً ، أنظر هل تساقط لحمي ، هل تناثر جلدي ، فلا أحد إلا خـ فظننت أنه قد أحسن الي ، وهممت بشكره ، لولا أن ظهر شيخ سوء من القوم الذين أهلك الله ، فقد كان يتغافلني و

له من تحت الأزار ، فيمس فخذى وساقى ، فقلت : لو نجا منه حد ، لأنجتنى هذه الشيبة ، وجعلت أهم بهشم أنفه ، وهتم لسانه ثم أدعه ، حتى انتهى وصبّ على الماء سخنا ، فشمرت والله كأنما نشطت من عقال ، وأحسست الزهو والخمة ، فصحت فأنكرت صوتى ، فقلت : ما هذا ؟ أينطق على لسانى مَن من الجن ؟ وأعدت الصيحة فازددت لصوتى انكارا ، فاستخفنى الطرب وجعلت أغنى وأحدو ، فقال لى صاحبى : هل استطبت صوتك ؟

قلت : إى والله ، قال : أفلا أدلك على باب القاضى ؟

قلت : فض الله فاك . مالى وللقاضى ؟ هل أحدثت حدثاً ؟ هل آويت محدثاً ؟ هل . .

قال : ألا تعرف قصة جحا ؟

قلت : لا والله ! فمن جحا ؟ وماهى قصته ؟

قال : كان جحا عالماً نحريراً ، إلا أن فيه لوثة ، وكان خفيف الروح ، فدخل الحمام مرة فغنى فأعجبه صوته ، فخرج من فوره إلى القاضى فسأله أن ينصبه مؤذناً ، وزعم أن له صوتاً جميلاً ، لا يدخل أذن رجل إلا حمله حملاً فوضعه فى المسجد

فقال له القاضى : فقم على المنارة فأذن نسمع ، فقام فأذن ، فلم يبق فى المسجد أحد إلا خرج هارباً يتعوذ . . .

فقال له القاضى : أى صوت هذا ؟ هذا الذى ذكره الله فى الكتاب

قال : أصلح الله القاضى ، ما يمنعك أن تبنى لى فوق المئذنة حماماً ؟

* * *

ولمح « صابى » أعرابياً من أهل نجد يمر فى الطريق ، فقال لى : انتظر ! وخرج يعدو وراءه . . . .

. . . . ثم لم يعد !

على الطنطاوى


## اعلان مناقصة

تفتيش مبانى بحرى القاهرة — الكائن بالدور العلوى

بوزارة المواصلات

يوم ٢٩ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ١٢ ظهراً

مناقصة عملية انشاء مطعم ومطبخ لمدرسة شبرا الابتدائية للبنين

ويمكن للمقاولين الدخول فى هذه الأعمال كلها والحصول على المستندات من التفتيش المذكور نظير مبلغ ٥٠ مليم ٢ جنيه ( جنيهان مصريان وخمسون مليما لا غير ) ، كما يمكن للمقاولين الاخصائيين الدخول فى جزء منها حسب اختصاصهم ، وتباع مستندات الأعمال الاعتيادية بمبلغ ٣٩٥ مليم ١ جنيه ( فقط جنيه مصرى وثلاثمائة خمسة وتسعون مليما لا غير ) والأعمال الصحية بمبلغ ٦٣٥ مليم ( فقط ستمائة خمسة وثلاثون مليما لا غير ) والأعمال الكهربائية بمبلغ ٤٢٠ مليم ( فقط اربعمائة وعشرون مليما لا غير ) بخلاف أجرة البريد وقدرها ٣٠ مليم

وللمصلحة حق التجزئة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

# اللآلى

## فى شرح أمالى القالى

للأبى عبيد البكرى

أتمت لجنة التأليف طبع هذا الكتاب الجليل وقد وقف عليه الأستاذ عبد العزيز الميمنى أستاذ الأدب العربى بمليكره وعنى بضبطه والتعليق عليه

والكتاب يقع فى نحو ١١٥٠ صفحة من القطع الكبير فى ثلاثة أجزاء مضبوطة أعلامه وأبياته وغريبه بالضبط الكامل

وثمنه سبعون قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة